فلسطين باختصار

أسطر مضيئة من ملحمة العودة !

بقلم علي بدّور

مرت في حياتي ثلاث وقائع بسيطة تمس كل منها المشكلة الفلسطينية في جانب مهم من جوانبها . وقد أحببت ان اطلع قراء « الاداب » عليها بمناسبة الحديث عن فلسطين .

« الواقعة الاولى » : في عام ١٩٤٤ ، ذات يوم كنت ماشيا في حي من احياء مدينة حلب ، وهو حي كبير يؤدي الى سوق باعة الالبسة والاحذية ، فشاهدت احد الباعة وهو يصرخ بأعلى صوته عن بضاعته التي وضعها على كيس من أكياس القنب . وكان الناس حوله في ازدياد .. لقد استرخصوا ثمن الجوارب فأقبلوا على شرائها . اقتربت من البائع وتفرست في البضاعة فوجدتها بلا ماركة .. تساءلت بيني وبين نفسي عن اصلها فلم أظفر بجواب ، فأعدت السؤال مع البائع عن مصدر البضاعة فلم يرد .. فلما ألححت عليه بالسؤال أجابني بغضب قائلا : « امش في طريقك اذا لم تشأ الشراء » . ولكنني اختلطت بالشراة وبحثت في اعماق البضاعة فعثرت على جورب لم تنزع منه كل ماركته .. وظهرت كلمة « فلسطين » بأحرف اجنبية .. وتأكدت ان البضاعة صهيونية مهربة .. اذ لو كانت عربية الصنع .. لكتبت بأحرف عربية على الاقل .. فما كان مني الا ان دفعت ثمن الجورب وهرعت الى اقرب مخفر .. كان ثمن الجورب كل ما في حوزتي « نصف ليرة » هي رأسمالي كله . ودخلت المخفر بقنبازي البلدي وبأعوامي الثلاثة عشر ، تاركا مدرستي لعجز والدي عن تدبير الاقساط المدرسية في مدارس الحكومة فقد كان يومها العلم يباع حتى لامثالنا .. وبيدي وثيقة صهيونية مهربة .. ونظر الي رئيس المخفر ولم يشأ ان يجرح شعوري أول الامر .. فأرسل معي شرطيا الى مكان بيع الجوارب المهربة .. ولما اقتربنا من البائع وبضاعته كان الحال كما تركته : الجورب بنصف ليرة ، ونظيره بليرة في المحلات الاخرى ، وعامة الشعب تشتري دون ان تفطن الى اكثر من رخصه . وباختصار أدى الشرطي واجبه فأجبر البائع على حمل بضاعته الى المخفر وأنا معه .. لم يتركني الشرطي ادخل مع البائع الى رئيس المخفر .. ثم خرج الشرطي بعد دقائق وقال لي : اذهب انت ونحن نعرف شغلنا !!

ذهبت الى المنزل .. تغديت .. حدثت والدي ووالدتي بالامر .. فلم يأخذا للامر اهميته نصحاني بالابتعاد عن المداخلة في شؤون الاخرين .. والحكومة تعرف واجبها !

عدت عصر ذلك اليوم الى حي الجوارب المهربة ، فوجدت بائعها في مكانه وهو يبيع نفس البضاعة .. قال لي عندما رآني : « سوف أعلمك كيف تكون مفسدا » !! ولما هم بضربي هربت الى المخفر رأسا ، فتلقاني نفس الشرطي الذي ذهب معي اول مرة .. اخبرته بوعيد البائع اياي .. وكيف انه عاد لبيع البضاعة دون ان تصادر .. فنهرني بالكلام .. ثم خرج فجأة رئيس المخفر على صوته والشرر يقدح من عينيه .. وصرخ فيّ بأعلى صوته : « اغرب عن وجهي .. سوف اسجنك اذا عدت ثانية » .

خرجت من المخفر .. وعيناي مملوءتان بالدموع .. وادركت بكل بساطة ، ان بائع الجوارب قد قدم للرئيس المخفر وثائقه التي لا تدحض !!

● لقد عرفت منذ ذلك اليوم ان مشكلة فلسطين هي مشكلة « الحكم » في كل بلد عربي .. وان واجب كل شعب عربي في كل بلد عربي ان يطور « الحكم » في بلده ليكون على مستوى القضية !!

« الواقعة الثانية » : اشتركت ذات عام في ندوة عن قضية فلسطين بمناسبة دخول الجيوش العربية اليها في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ ، وكان ترتيبي الخامس بين ثمانية محاضرين بينهم بعض المحاضرات . وقد جاء دوري بعد ثلاث ساعات من بدء الندوة التي انقلبت الى محاضرة ان لم اقل محاضرات !!

فقد تحدث الاول عن قضية فلسطين كلها ، وأوجز جهده ولكن ذلك استغرق ساعة كاملة . والقى الثاني — وكان شاعرا — ثلاث قصائد مطولة .. وتلت المحاضرة الثالثة نصف كتاب عبد الله التل عن قضية فلسطين ومؤامرات الخيانة ... الخ .. الخ ..

وصعدت المنبر .. ثم نزلت بعد ثلاث دقائق .. راويا للمستمعين قصة الزعيم سعد زغلول عندما كان

في منفاه بجزيرة سيشل وبعث لاصدقائه رسالة مطولة ذيلها بما معناه : « اعذروني لهذه الرسالة المطولة فلم يكن عندي الوقت الكافي لابعث لكم رسالة موجزة » !

ان الانسان يتكلم كثيرا اذا فكر قليلا .. والعكس صحيح . لقد تحدثنا كثيرا عن فلسطين .. والمشكلة على صعوبتها سهلة الحل ، اذا عرف العرب اسباب النكبة على حقيقتها ، وتلافوها في كل مخطط عمل جدي لاستعادتها .

● لقد خسرت الجيوش العربية السبعة معركة فلسطين لانها لم تكن جيشا واحدا !! وكان لنا جيش وحيد وموحد ولكن من « كلام » !!

« **الواقعة الثالثة** » : اثارت قضية مانكروفت اليهودي البريطاني وقائع جديدة بالارقام عن تجارة بريطانيا الخارجية مع العالم العربي واسرائيل .. ففي احصائية عربية بلغت مجموعة الصادرات البريطانية ما قيمته ٥٠٠ مليون جنيه يستوردها العالم العربي وحده . وفي احصائية صهيونية ان اسرائيل تستورد بما قيمته ٣٠ مليون جنيه فقط . اي بنسبة ١ من ١٦ .

وعلى هامش مؤتمر الذروة العربي المنعقد بالقاهرة من ١٣ – ١٧ ك٢ ١٩٦٤ وردت ارقام عن مجموع الودائع العربية في مصارف الغرب – وفي بريطانيا اكثرها – ٢٠٠٠ مليون جنيه . كما ورد ان الغرب يعتمد على البترول العربي بنسبة ٩٠ في المئة .

● لقد ضاعت فلسطين لان الامة العربية كانت خلال نصف القرن الحالي لا تعرف مصلحتها الحقيقية ولا تعرف من هم اعداؤها .. ومن هم اصدقاؤها . فلما فقدت فلسطين استفاقت من غفلة القرون . وفي يقيني ان الاعوام التي تلت عام النكبة حتى اليوم كانت في جانب القوة وليس في جانب الضعف المستمر الموروث ، فان الوعي العربي المتمثل في استقلال البلاد العربية كلها ما عدا المحميات ، وبناء الحياة العربية بناء اجتماعيا وسياسيا بشكل سليم سوف يزيد من اسباب القوة المادية العربية في معركة الغد .. واليوم تتفتح امامنا طرق الانتقام .. بالارقام والاسماء .. ولم يبق الا وضع القوة العربية الجديدة في خدمة هذه القضية المقدسة . لقد امضى اليهود خمسين عاما وهم يصنعون القوة اليهودية الجديدة في العالم في خدمة قضيتهم الى ان انشأوا اسرائيل في عام ١٩٤٨ . ولا بأس على العرب اذا امضوا .. ولو خمسين عاما لاستعادة الوطن السليب . فالشرط الاوحد ان لا يتوقف المد .

***

ان الدموع التي اهرقها مواطن عربي من حلب ذات يوم من عام ١٩٤٤ .. وكل الدموع التي اهرقها العرب من اجل فلسطين ... لن تنسى ، الا يوم تستبدل بابتسامة على مشارف تل ابيب .. ليس المهم ان تكون ابتسامة ذلك المواطن بالذات .. فلا بأس من ان تكون ابتسامة اي انسان عربي من هذا الجيل .. او الاجيال المقبلة !!

حلب — علي بدور

سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتاب المسرح

صدر منها :

١ ــ البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والمحامي جلال مطرجي

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٢ ــ ماريانا

تاليف فديريكو غارسيا لوركا

ترجمة شاكر مصطفى

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٣ ــ هيروشيما حبيبي

تاليف مرغريت دورا

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٤ ــ لكل حقيقته

تاليف لويجي بيراندللو

ترجمة جورج طرابيشي

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٥ ــ تمت اللعبة

تاليف جان بول سارتر

ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب ــ بيروت